(التعريف والنقد)

«المسالك والممالك»

لابن خرداذبه (نحو ٢٠٥ / ٣٠٠ هـ)

أعده للنشر: خير الدين محمود قبلاوي

الأستاذ حمد الجاسر

لعل الفضل الأول في نشر هذا الكتاب يعود للمستشرق الهولندي (دي غويهDEGOEJE) (١٨٣٦ / ١٩٠٩م) الذي نشره مضيفاً إليه كتباً أخرى في موضوعه ضمن مجموعة (المكتبة الجغرافية العربية)، نشره مع مقدمة وترجمة باللغة الفرنسية في ليدن سنة ١٣٠٦ (١٨٨٩م).

ثم نُشرت كتبُ هذه المجموعة على عِلاَّتِها، وممن تولى نشرها (دار إحياء التراث العربي في بيروت)، فقام الدكتور محمد مخزوم بنشر الكتاب ووضع له هوامش وفهارس.

وفي هذه الأيام قدم لي الابن الكريم الأستاذ خالد بن خنين، الملحق الثقافي لبلادنا في بلاد الشام نسخة نشرتها (وزارة الثقافة) في سورية، في سلسلة تصدرها الوزارة تحت عنوان (المختار من التراث العربي) وجاء الحلقة الـ (٨١).

لقد سررت من اتجاه هذه الوزارة الكريمة لنشرها هذا الكتاب وأمثاله، ولكنني بعد أن تصفحته، وهو من إعداد وتقديم الأستاذ خير الدين محمود قبلاوي، لم أجد فيه ما كنت أتطلع إليه، مما كان مؤملاً ومعهوداً، من مثل وزارة جليلة تعد حارسة لتراث الأمة، مما يستلزم أن تبذل العناية الوافية في

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

تحقيق المنشور من ذلك التراث.

لعل قلة المعنيين بالدراسات الجغرافية القديمة كان من الأسباب التي حالت دون إبراز هذا الكتاب بالصورة المتوخاة، وإن بذل المُعِدُّ لنشره جهدَهُ، فوضع مقدمة للكتاب، استقى أكثر ما فيها من كتاب (بروكلمان) و «تاريخ الأدب الجغرافي» وغيرهما.

وتحدث الأستاذ محمود عن الكتاب فنقل عن (دي غويه): لا توجد له نسخة خطية كاملة. ونقل عنه أشياء مهمة تتعلق بالكتاب ومؤلفه، وقال: بأن مادته المجموعة كانت مصدراً لكثير من الجغرافيين المتأخرين كابن الفقيه، وابن حوقل والمقدسي والجيهاني والمسعودي واليعقوبي.

وأشار إلى أنه اعتمد على طبعة المستشرق (دي غويه)، وهي تشتمل على كتابي «المسالك و الممالك» لابن خرداذبه، ونبذ من كتاب «الخراج» لقدامة بن جعفر، وقال: بأن الغاية التي دفعته لإعادة طبع الكتاب والعناية به، تعريف القارئ العربي على المكتبة الجغرافية العربية وغناها، فاختار هذا الكتاب الرائد، بتوجيه من أستاذه الدكتور عدنان درويش، الذي يحرص ـ دائماً ـ على تقديم التراث العربي بالصورة المُثْلَى.

ثم وصف الخطوات التي قام بها لإخراج الكتاب، ولا جديد فيها.

ومن المعروف أن أسماء المواضع عرضة للتصحيف والتحريف، ولهذا كان نصيب هذه الطبعة وما تقدمها من ذلك وافراً.

والأدهى من هذا الأمر وقوع أخطاء في ترتيب المنازل، كما وقع في هذا الكتاب في وصف طريق الجادة من معدن النَّقرة إلى مكة فقد ورد ماملخصه: (من معدن النقرة إلى مغيثة ماوان ثلاثة وثلاثون ميلاً، ثم إلى الربذة أربعة وعشرون ميلاً، ثم إلى معدن بني سليم أربعة وعشرون ميلاً،

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

والمتعشى شَـرَوْرَى على اثني عشر ميـلاً، ثم إلى السَّلِيلة ستة وعـشرون ميلاً، ثم إلى العُمَق أحد وعشرون ميلاً، ثم إلى الأفـيعية اثنان وثلاثون ميلاً، ثم إلى المِسْلح وهو ميقات أهل العراق أربعة وثلاثون ميلاً)[1].

وترتيب المنازل على هـذه الصفة خطأ، لعله نشأ مـن كون أحد نساخ الكتـاب قفـز نظره من مـنزلة إلى أخـرى، ثم حاول اسـتدراك ذلك، فـوضع الصـواب في الـهامـش، وعند الـنقل جـهـل الناقـل موضـع ما أُلحـق بهـامش الكتاب.

وهـذا الخطأ في الكـتاب قديم، يدل على هذا أن بعض مـن أتى بعد ابن خرداذبه لـم يدركه، ومنهم قـدامة بن جعفـر (المتوفى سنة ٣٢٠)، فـقد ورد في كـتـابه «الخراج» مـا ملـخصـه[2]: (من الـنقرة إلـى مغيثـة ماوان سـبعـة وعشرون مـيلاً، ومن مغيثة إلـى الربذة أربعة وعشرون ميـلاً، ومن الربذة إلى معـدن بني سـليم تسـعة عـشر ميـلاً، ومن معـدن بني سـليم إلى العُـمَق ستة وعشـرون ميلاً، ومن العـمق إلى أفيـعية اثنـان وثلاثون ميلاً، ومـن أفيعـية إلى المِسْلح أربعة وثلاثون ميلاً).

ويوضح الخطأ في هذا الترتيب أمور:

أولها: أن كل هـذه المواضع لا تزال معروفـة، ولكنها لا تتـفق مع هذا الترتيب، فالربذة تقـع بعد مغيثة الماوان ثم من بعد الربذة الـسَّلِيلة، ثم من بعد السليلة العُمَق، ثم من العمق إلى معدن بني سليم، ثم من المعدن إلى أفيعية.

وعلى هذا جـاء وصف هذا الطريق عـند متقدمـي العلماء، ممن عـاصر ابن خـرداذبه، كـمـا فـي الكتـاب المنسـوب للـحربـي وهو مؤلـف في القـرن

(١) ص ١٨٣.

(٢) ص ١٣ طبعة دار إحياء التراث العربي.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الثالث[٣] ، وفي كتاب «صفة جزيرة العرب» للهمداني ـ وهو من أهل القرن الرابع الهجري ـ [٤] ،حيث عد مناهل الطريق للمتوجه من مكة إلى النقرة.

ولا أطيل بذكر ما ورد عن هذين الكتابين وعن غيرهما من المصادر القديمة فهي بين أيدي القراء.

الأمر الثاني: أن مواقع تلك المواضع مرسومة في المصورات الجغرافية، وقد وضعت خطوط أطوالها وأعراضها على النحو الآتي كما في كتاب «معجم الأسماء الجغرافية» للأستاذ الدكتور أسعد سليمان عبده:

(ماوان) على خط الطول: (٤٧/٠٠ْ) وخط العرض: (٢٣/٥٢ْ).

(الربذة) على خط الطول: (٤١/١٧ْ) وخط العرض: (٢٤/٣٩ْ).

(السليلة) على خط الطول: (٣٨/٣٧ْ) وخط العرض: (٢٥/٣٠ْ).

(العمق) على خط الطول: (٤٠/٥٩ْ) وخط العرض: (٢٣/٥٨ْ).

(معدن بني سليم) على خط الطول: (٤٠/٥٢ْ) وخط العرض: (٢٣/٣٠ْ).

(أفيعية) على خط الطول: (٤١/٢٢ْ) وخط العرض: (٢٥/٢٧ْ).

(المسلح) على خط الطول: (٤٠/٤٣ْ) وخط العرض: (٢٢/٣٧ْ).

(شرورى) على خط الطول: (٤٠/٥٩ْ) وخط العرض: (٢٣/٤٧ْ).

ومن هذا يتضح ماوقع في الكتاب من خطأ.

ولمزيد من الإيضاح يحسن مراجعة معجمات تحديد الأمكنة المعروفة.

---

(٣) «المناسك» ص٣٣٣ ولعله كتاب «الطريق» لتلميذه القاضي وكيع محمد بن خلف ابن حيان.

(٤) ص ٣٣٨ طبعة دار اليمامة.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أما ما وقع في الأسماء من الأخطاء، فليس في استطاعتي الحديث عنها كلها إلا أنني سأذكر بعض كلمات اعترضتني أثناء المطالعة:

١ ـ ص ١٧٦: في الكلام على وادي السباع الواقع بين المغيثة والكراع في طريق الحج الكوفي أورد قول جرير:

إنَّ الرَّزيةَ مَنْ تضمَّن قبرَهُ وادي السِّباع لكل جنبٍ مصرعُ

وادي السباع المذكور هنا هو الوادي الذي تقع فيه بلدة (الزبير) في العراق، بعيد عن هذا الموضع، وأسماء المواضع تتكرر مع تباعدها.

٢ ـ ص ١٧٨: (وصدقات بكر بن وائل إلى صاحب طريق مدة).

والصواب: صاحب طريق مكة.

٣ ـ ص ١٧٩: (وكان عليها وعلى تهامة في الجاهلية عامل من قبل مرزبان البادية يجبي خراجها).

ولعل الصواب ماورد في «معجم البلدان» في الكلام على الزارة ونصه: (وكان على المدينة وتهامة في الجاهلية عامل من قبل مرزبان الزارة يجبي خراجها) انتهى، وانظر عن الزارة (قسم المنطقة الشرقية) من «المعجم الجغرافي».

٤ ـ ص ١٨٢: في وصف طريق هجرة المصطفى ﷺ: (ثم استبطن به مدلجة مجاج، ثم سلك مرجح من مجاج، ثم بطن مرجح ذي الغضوين).

فصواب مجاج (مجاح) وهو اسم واد لا يزال معروفاً، يقع في طريق الهجرة النبوية، ووقع في بعض كتب السيرة (مجاج) كما هنا و (محاج) وصوابه (مجاح) كما أوضح هذا السهيلي في حاشيته على السيرة واستشهد بقول محمد بن عروة بن الزبير:

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

لَعَنَ الله بطنَ لِقْفٍ، مَسيلاً و (مجاحاً) وما أحب (مجاحَا)!!
لقيتْ ناقتي به، وبـ (لقفٍ) بلداً مجدباً، وأرضاً شَحَاحَا!

إن وادي (مجاح) لا يزال معروفاً، وهو من فروع وادي النخل، يصب فيه قبل اجتماعه بوادي (القاحة) بما يقرب من خمسة أكيال قبل (بئر مبيريك).

وقد رسم في المصور الجغرافي رقم (B ١١٠ ـ أبحاث جيولوجية مختلفة (نجاح) والصواب ما ذكرنا.

و (مرجح) رافد من روافد مجاح، و (الغضوين) صواب الاسم كما يعرف الآن عند أهل هذه الجهة (العَصَوين) تثنية عصا، وهما تلعتان كبيرتان، كل واحدة منهما تسمى (العصا) تلتقيان ثم تصبان في وادي مجاح بقرب اجتماعه بوادي النخل.

٥ ـ ص ١٨٦: في ذكر طريق مكة إلى الطائف: ثم بطن نعمان، ثم يصعد عقبة جراء، ثم يشرف على الطائف.

(جراء) هذا صوابه (كَرَاء) جبل لا يزال معروفاً وعقبته كانت من أشهر عقبات الطريق، وقد سهلت في العهد الحاضر.

وأكتفي بهذه الملاحظات لأن الموضوع أوسع من أن أستطيع استيعاب الكلام فيه، وكان الأولى بمعد الكتاب للنشر أن يراجع أسماء المواضع على ما ورد في «معجم البلدان» لياقوت و «معجم ما استعجم» للبكري، وما ألف عن البلاد الإسلامية خارج بلاد العرب ككتاب «بلدان الخلافة الشرقية» وكتاب «تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي» وغيرهما.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net